

وَاجِبٌ دِينِيٌّ وَضَرُورَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ

تأليف الشيخ

علي الشربجي

دار المنهل ناشرون
دمشق

دار الفيحاء
دمشق


الزواج
واجب ديني وضرورة اجتماعية

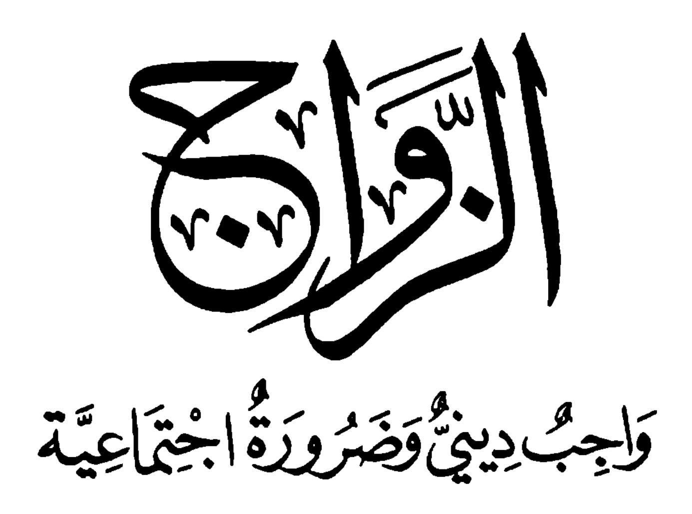
الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



سورية : دمشق : حلبوني ص . ب ١٣٤٦١
هاتف : ٢٤٥٨٣٣٥ فاكس : ٢٢٣٠٢٠٨

دار المنهل ناشرون

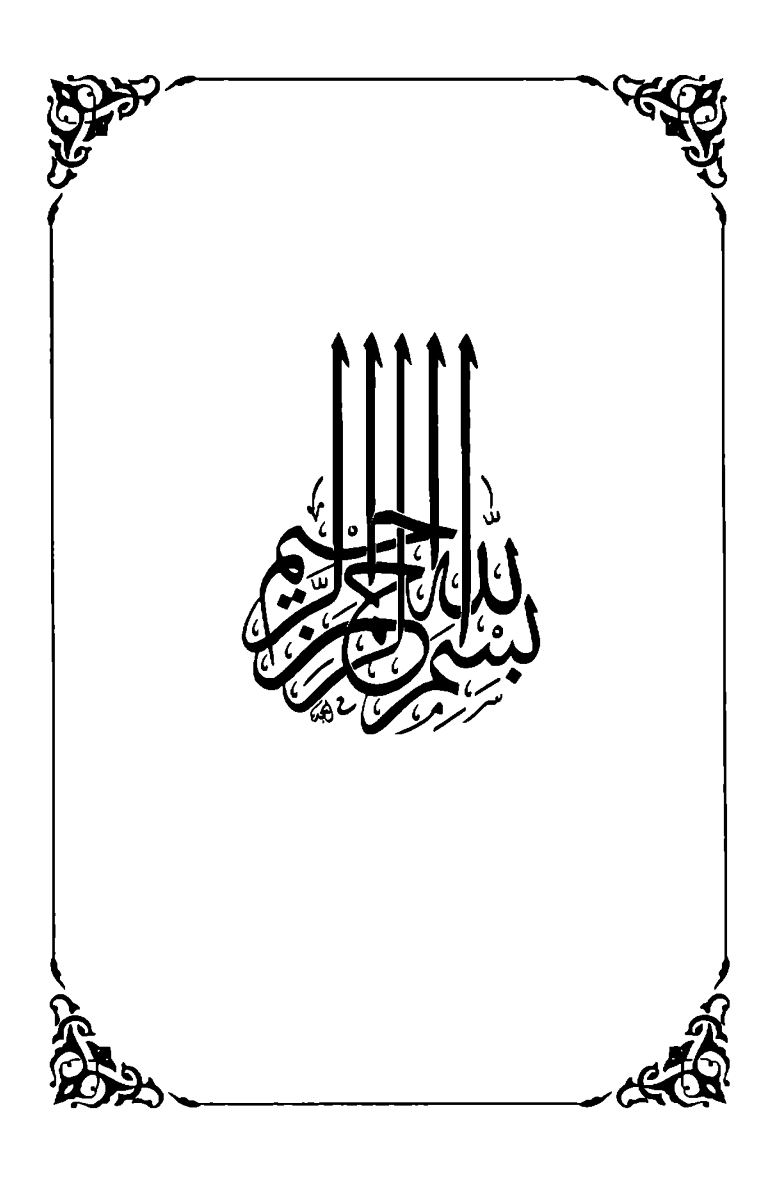
سورية : دمشق : حلبوني ص . ب ١٣٤٦١
هاتف : ٢٢٣٨١٣٥ فاكس : ٢٢٣٠٢٠٨



وَاجِبٌ دِينِيٌّ وَضَرُورَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ

تأليف الشيخ
علي الشربجي

دار الفيحاء
دار المنهل ناشرون


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين ، حمداً يوافي نِعمه ، ويكافئ مزيده ، والصَّلاة والسَّلام على المبعوث بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسِراجاً منيراً ، سيِّدنا ونبِّينا محمَّد ، وعلى آله الطيِّبين الطَّاهرين ، وأصحابه الغرِّ الميامين ، ومن تبعهم وسَار على هديهم إلى يوم الدِّين .

وبعد . .

فهذا بحث كتبته في موضوع : الزواج واجب ديني وضرورة اجتماعية ، وقدَّمت بين يديه بتمهيد ذكرت فيه : تعريف الأسرة ، ومكانتها ، وسبيل إنشائها ، وختمته بخاتمة ، تناولت فيها بعض مضارِّ العزوبة .

تعريف الأُسرة :

الأُسرة في اصطلاحنا المعاصر : عبارة عن الرَّجل ومن يعولهم من زوجة ، وأصول وفروع .

والأسرة في اللغة: تُطلق على الدِّرع الحصينة، كما تُطلق على عشيرة الرَّجل وأهله.

وهي مأخوذة من الأسر، وهو القوَّة، وسميت بذلك لتقوِّي بعضهم ببعض.

ولم يرد لفظ الأُسرة في القرآن، وورد في السُّنَّة عند أبي داود في الحدود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.. «ثم زنى رجل في أسرة من الناس».

والفقهاء قديماً لم يستعملوا لفظ الأسرة بمعناه الحديث، وإنما كانوا يستعملون مكانَهُ لفظ: الآل، والأهل، والعيال. وما يُعْرَفُ اليوم بأحكام الأُسرة اصطلاح حادِث، والمراد بها: مجموعة الأحكام التي تنظم العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة.

وقد تناولها الفقهاء قديماً في أبواب كثيرة، كالنِّكاح، والمَهر، والنَّفقات، والنَّسب، والطَّلاق، والوَّصية، والمِيراث وغيرها.

مكانة الأُسرة:

إذا كان الفرد هو اللَّبنة الأساسية في بناء المجتمع، فإن الأُسرة هي الخليَّة الحية في كيانه، فإذا صَلحت صَلح الفرد،

وبصلاحه يصلُح المجتمع ، وإذا فسَدت فسَد ، لأن الفرد جزْء من الأُسرة يتأثَّر بتربيتها ، وينطبع بطابعها ، ويأخذ جلَّ صفاته ومقوِّماته منها .

قال الله تعالىٰ : ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ ﴾ [آل عمران : ٣٤] .

وقال رسول الله ﷺ : «ما من مولود إلا ويولد على الفِطْرة ، فأبَواه يُهوِّدانه ، ويُنَصِّرانه ، ويُمجِّسانه» . [رواه مسلم] .

والفِطْرة : الحالة المتهيِّئة للخير .

لذلك أولى الإسلام الأُسرة عناية فائقة ، ورعاها رعاية بالغة ، وشغلت الأسرة حيِّزاً كبيراً بين أحكام القرآن والسُّنَّة .

إن بناء الأسرة في الحقيقة وواقع الحال؛ هو بناء المجتمع ، لأنَّه ما من مجتمع بدائي أو متحضِّر ، إلا والأسرة هي الرَّكيزة الأولى في قيامه .

فإذا تهيَّأ لنا إقامة الأُسرة على وَفْق المنهج الرباني الذي وَضَعه شرع الله عز وجل ، وراعينا أحكام هذا المنهج في كلِّ خطوة نخطوها على درب تكوين الأُسرة ، نكون في الحقيقة؛ قد أقمنا المجتمع الإسلامي الذي ننشده ، ونطمع فيه ، وتهفو نفوسنا إليه ، ونكون قد هيئنا كلَّ الأجواء؛ التي سوف تفتح صدورها لتقبل هذه الشَّريعة ، والعمل على تطبيقها .

إن قَضية الأُسرة ينبغي أن تكون قضية كلّ فرد وكلّ عائلة ،

وكلّ مجتمع ، وينبغي أن ينظر إليها الجميع من كلّ الزَّوايا على أنَّها الأساس الأول ، والرُّكن الرَّكين لكلِّ بناء وإعمار ، ووئام وسلام ، وطمأنينة واستقرار ، وفلاح ونجاح ، وسعادة ونعيم ، فإذا انهدم هذا الأساس ؛ فهيهات هيهات أن يقوم على أنقاضه كمال ، وجمال ، وسعادة ، واستقرار .

إنَّ الصِّراع الذي نشهده اليوم في رحاب الأسرة والمجتمع ؛ من تناكر ، وتنافر بين كثير من الأزواج ، وعقوق وتمرُّد بين كثير من الأولاد ، وشيوع للطَّلاق ، والسُّفور ، والتَّبرج ، والميوعة ، والتسكع ، والتَخَنُّث ، والأرق والقلق ، ما هو إلا ثمرة ونتيجة من ثمرات ونتائج إهمال شأن الأسرة ، وفقدان رعايتها وإقامتها على الأسس التي وضعها ربُّ العزَّة عزَّ وجلَّ لصالح عباده .

إن هذا الواقع ينبغي أن يلفت أنظارنا ؛ إلى ضرورة العودة إلى معين شرع الله الطاهر الحنيف ، والإقبال عليه بكل جِدٌ وصدق ، لبناء حياتنا الأُسَرية ، لأنَّه هو الملاذ والملجأ لإصلاح حالنا ، وشفاء أمراضنا .

إن الحاجة اليوم ملحة أكثر من أي يوم مضى ؛ إلى العودة إلى دين الله عزَّ وجلَّ .

إن في النَّاس اليوم حنيناً فطرياً إلى بناء الأُسَر ، وإقامة

المجتمع وَفقاً لروح الإسلام ، وتلفتاً دائباً إلى الأخذ بمكارم الأخلاق ، وتشييد البيوت الفاضلة ، التي ترتكز على منطق العقل والإيمان ، لتتفادى تلك الصِّراعات القاتلة ، والأخطار الداهمة ، التي عانى النَّاس منها الأمرَّين.

إن واجب العلماء والمصلحين ، وأهل الحلِّ والعَقدِ من الأمة؛ أن يعملوا متضافرين متعاونين؛ على وضع الأُسرة في مكانها الصَّحيح ، والسَّعي بها إلى شاطئ السَّلامة والأمان ، وأن يرفعوا كل الحُجُب التي حالت دون رؤية النَّاس أسباب مصالحهم وسعادتهم ، وفتحت الأبواب لتسلُّل المآسي إلى أسرهم وبيوتهم.

إن أسباب العافية قريبة المَنَال ، سهلة المأخَذ ، وهي معدَّة في دين الله عزَّ وجلَّ وشرعه الحنيف.

وقديماً قيل:

ومن العجائب والعجائب جَمَّة قرب
الشفاء وما إليه وصول
كالعِيس في الصَّحراء يقتلها الظَّما
والماء فوق ظهورها محمول

لكنا نقول: الشفاء قريب ، والوصول إليه ميسور ، فلنمدَّ إليه الأيدي ، ولنحثَّ نحوه الخطى.

سبيل تكوين الأُسرة

الأُسرة ضرورة حتميَّـة ، وواقع حياتي لا غنى عنه ، ولا مفر منه ، لأنه سنَّة الله تعالىٰ في عباده ، وحكمه النافذ فيهم .

وطريق وجود الأُسرة هو الزَّواج المشروع بآدابه وأحكامه؛ التي فرضتها الأديان ، وسنَّتها شرائع الله عزَّ وجلَّ ، ولا سيما الإسلام .

فالزَّواج بمعنى اقتران الذكر بالأنثى ، سنَّة الله الماضية في التَّكاثر والانتشار بين عناصر الخلائق الحيَّة .

وهذا الزَّواج يتم بين الخلائق الحيَّة ـ غير البشريّة ـ بصورة غـريـزيـة ، وهـو النهـج الأنسـب والأصلـح بـالنِّسبـة لبقـائهـا وتكاثرها ، وأداء وظائفها ، كأدوات في تحقيق غاياتها ، ومن جملة الغايات إقامة حياة البشر ، وتحقيق مصالحهم .

والذي يجزم به العقل ، ويصدِّقه الواقع أن يد الخالق الحكيم بادية في إيجاد وتنظيم هذه الخلائق الحيَّة ، وإحكام العلائق بينها ، وترتيب الدَّوافع لها ، وإيجاد النَّتائج من ورائها .

كما أن العقل يقطع بأن سنن الحياة تسير ضمن أفلاكها ، وأنفاقها ، وأسرابها متعاونة متساندة؛ لتحقيق الغايات المقصودة منها.

ثم إن العقل ليجزم أنَّ الإنسان هو الهدف المنشود ، الذي أرادت حكمة الربِّ عزَّ وجلَّ؛ أن تتجلى فيه عظمة الربِّ ، وتظهر فيه ، وله آثار أسمائه وصفاته ، فهيأت له يَدُ القدرة الحكيمة كلَّ مناخ ، وشيَّدت له كلَّ سبب ليرقى هذا المخلوق الفذ الوحيد إلى مستوى الغاية ، ويسمو إلى سدَّة الهدف.

وهذا جَلِي يدركه العقل ، ولا يحتاج في فهمه حتى إلى أدلة الشرع ، وإنَّما جاء الشَّرع في هذا المجال مذكِّراً حتى لا يقع العقل فريسة الغفلة ، فينفلت زمام الوعي من يديه.

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٥ ـ ٨].

وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١ ـ ٧٣].

إن العقل يحتاج إلى بيان الأربطة التي تصل العُرى، وتشدُّ بعضها إلى بعض، وإيجاد المواد التي يُحكم إقامة البُنيان بسببها، واللافتات التي تشير إلى الطَّريق السَّوي.

لقد جاءَت رحمة الرَّب عزَّ وجلَّ على هذا الإنسان بالشَّرائع التي تحفظه من الزَّيغ، وتجمعه على الهدى، وتشدُّ أزره على الدَّرب، وتحرسه من تسلل الأخطاء والأخطار، فكانت الأوامر الإلهية لهذا الإنسان باتِّباع مناهج الدِّين، وأحكام الشَّرع.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

❑ ❑ ❑

الزّواج واجب ديني وضرورة اجتماعية

إن الزَّواج واجب ديني ، وضرورة اجتماعية لأنَّه متعيِّن طريقاً؛ لبقاء هذا النوع الإنساني على ظهر هذه الأرض خليفة صالحاً ، وناعماً سعيداً ، وبنَّاءً سليماً ، ومنتِجاً نشيطاً ، ورحيماً معطاءً .

إنَّ الزَّواج الشَّرعي في مُحيط البَشر ضرورة اجتماعية ، وواجب ديني ؛ لأنَّه الوسيلة النَّظيفة السليمة لبقاء هذا الإنسان ، وامتداد وجوده على طول الزَّمان وعرضه ، وعمقه .

إنَّ الله عز وجل خلق الرَّجل مجهَّزاً بدوافع الرَّغبة إلى المَرأة ، ومزوَّداً بعناصر الإخصاب ، وخلق المَرأة وجهَّزها بدوافع الرَّغبة إلى الرَّجل ، وزوَّدها بعناصر الإنبات ، وأوجب اقتران أحدهما بالآخر ؛ بالأسلوب الشَّريف البنَّاء ، ورتَّب على ذلك تكاثر هذا النَّسل وانتشاره ليزرع الحياة ، ويَعْمر الدُّنيا ، ويؤدِّي المهمَّة في فرصة الأجل الممنوح له .

قال تعالى : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟

﴿لِأَنفُسِكُمْۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[البقرة: ٢٢٣].

إنَّ الأدلَّة في كتاب الله تعالىٰ ، وسنَّة رسوله ﷺ التي تأمر بالزَّواج ، وتدعو إليه ، وتذكُر مُبررات الرَّغبة فيه ، والإقبال عليه كثيرة ، هذه بعضها :

قال تعالى :

- ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

- ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣].

- ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾

[البقرة: ٢٣٢].

وقال رسول الله ﷺ :

«يا معشر الشَّباب من استطاع منكم الباءَة فليتزوج ، فإنه أغضُّ للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصَّوم ، فإنه له وِجاء». [أخرجه البخاري ومسلم].

وقال: «أَمَا والله إنِّي لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكنِّي أصوم وأفطر ، وأصلِّي وأرقد ، وأتزَّوج النِّساء ، فمن رغب عن سنَّتي فليس منِّي». [أخرجه البخاري ومسلم].

وقال: «إذا جاءكم من ترضون دينَه وخلقَه فأنكحوه ، إلا تفعلوا تكُن فتنة في الأرض وفساد» . [أخرجه الترمذي] .

وقال: «الدُّنيا متاع ، وخَير متاعها المَرأة الصَّالحة» .

[أخرجه مسلم] .

وقال: «ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله ، والمُكَاتَب يريد الأداء ، والنَّاكح يريد العَفاف» . [رواه الترمذي] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : «أن رسول الله ﷺ ردَّ على عثمان بن مظعون التَّبتل» . [رواه البخاري ومسلم] .

والتَّبتل : الانقطاع عن النِّكاح .

وعن سعيد بن جبير قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنه : هل تزوجت؟ .

قلت : لا .

قال: فتزوج ، فإن خَيرَ هذه الأمَّة أكثرُها نِساء . [أخرجه البخاري] .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨] .

وقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١] .

وقال: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقال: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء: ١].

فالرَّجل والمَرأة من حقيقة واحدة، ومن جنس واحد، والجنس إلى جنسه أميَل، وفيه أرغَب، وبينهما من التَّجانس والتَّلائم والتَّجاذب والتَّحابب، ما يدعو بعضهما إلى بعض ليحصل الغرض، ويتحقق الهدف الذي من أجله خلق الله الذَّكر والأُنثى.

قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ [النجم: ٤٥ ـ ٤٦].

إنَّ الزَّواج ـ بصرف النَّظر عما صنَّفه الفقهاء من أحكام وصفُوه بها، من وجوبٍ وندبٍ وغيرهما ـ واجبٌ ديني، وضرورة إجتماعية، وسنَّة من سُنن الله في عباده.

قال الله تعالى:

ـ ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفتح: ٢٣].

ـ ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣].

ـ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾

[الروم: ٣٠].

إنَّ كَون الزَّواج واجباً دينياً ، وضرورة إجتماعية؛ يتجلى في النقاط التالية:

أولاً ـ إيجاد السَّكن النَّفسي والاستقرار الرُّوحي والأُنس الاجتماعي:

وهذا كلُّه لا يوجد إلا في ظلال بيت الزَّوجية ، ورحاب الأُسرة ، وتبادل العواطف بين الرَّجل والمَرأة في مسكن شريف ، وعلاقة كريمة ، فالزَّواج الموفَّق حُضن السَّعادة ، وعشُّ الاستقرار ، وواحة الأُنس ، ودِرع الوقاية من الأرق والقلق ، والهواجس القاتلة ، والأحلام المزعجة.

إنَّ حديثَ سَمَر بين الزَّوجين؛ في أمسيةٍ هادئةٍ حالمةٍ ناعمةٍ ، تخلع حياتَهما من جوِّ الكَرْب في هذه الأرض ، لتطير بهما في عوالم الأرواح العلوية الطَّاهرة ، وتحلِّق بهما في فضاء الأُنس والنَّعيم الذي لا حدود لشواطئه.

وإنَّ جلسة على مائدة إفطار أمام بَاقَة وردٍ ، أو أنغامِ طيرٍ ، أو دغدغة طفلٍ؛ لتجعل من هذه الدُّنيا جنَّة النَّعيم العارمة.

وإنَّ رحلة على متن سيَّارة فارهة؛ لزوجين أليفين بين

الغيـاض والـريـاض والضفـاف ، لتعـدل كـل المُتَـع مجتمعـة ومنفردة في هذه الحياة الدُّنيا .

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : «ألا أُخبرك بما يكنز المَرء؟ المرأة الصَّالحة ، إذا نظر إليها سرَّته ، وإذا أمَرَها أطاعَته ، وإذا غاب عنها حفظَته» . [رواه أبو داود ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي] .

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١] .

واستمع إلى قول الله تبارك وتعالىٰ ، وهو يرسم صورة العلاقة بين الزَّوجين ؛ بحيث تعجز ريشة أكبر فنَّان أن تُعبِّر عن هذا المعنى بأدقّ مما حوته هذه الآية المباركة : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

سرِّح الطَّرف ما شئت في أشكال هذا اللِّباس ، وألوانه ، وأغراضه ، وفوائده ؛ فسيظل المَدَى أوسع ، والأبعاد أعمق ، والأطياف أحلى وأزهى ، وسيرجع البصر إليك حسيراً كليلاً عن الإحاطة والاستيعاب .

قل لي بربِّك هل تجد هذا الأُنس ، والهدوء ، والسُّرور ، في مخبأ موحش ؛ ضم ـ والعياذ بالله ـ زانياً وزانية ، خيَّم عليه

غضب الله ، وخوف النَّاس ، والشُّعور بالإثم ، والقلق من العواقب.

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾

[الإسراء: ٣٢].

نَعم إن الزَّواج بالنِّسبة للزوجين؛ أفخر أنواع الملابس التي تقي الحرَّ والبرد. وتستر المعايب ، وتحفظ من عادِيات الأذى ، وتصون الشَّرف والعرض ، وتوفر الرَّاحة والأُنس ، فهل هذا الزَّواج ضرورة دينية واجتماعية. . ؟ نَعم ، وألف نَعم.

لكنْ ينبغي أن نلفت نظر الرَّجل والمَرأة قبل الزَّواج؛ أنْ يسترشِدا بنور الإسلام ، وأضواء الشَّرع ، في صياغة حياتهما على نور الله ، وآداب دينه ، ويتعلما من أحكام هذا الدِّين ما يكون سياجاً لوقاية هذا الزَّواج من تسرُّب الرِّياح العاتية إليه ، ودخول الشَّيطان فيه.

ثانياً ـ الاستجابة لنداء الفطرة في تحقيق الوَطَر ، واقتناص اللذة:

إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق اللذائذ في هذه الدُّنيا ، ووزَّع فيها المباهِج ، وزرع في جوانبها صور الجمال ، وأبدع في ساحاتها

أشكال الإغراء ، كلّ ذلك لأهداف وأغراض تكتنفها الحكمة من كل نواحيها .

فالطَّعم الجميل ، والرَّائحة الجميلة ، والصَّوت الجميل ، والمنظر الجميل ، والرُّوح الوديعة ، والطبيعة الفاتنة ، والقَوَام الممشوق؛ كل ذلك يشدُّ الإنسان إليه ، ويجذبه نحوه ، سواء كان رجلاً أم امرأة ، لأن الله عزَّ وجلَّ جعل في كيان هذا الإنسان؛ كلَّ المَدَارك لكلِّ ما في الحياة من جمال وإبداع ، وفتح فيه كلَّ النَّوافذ للوصول إليها والوقوف عليها ، والرَّغبة فيها .

والله عزَّ وجلَّ فضلاً منه ورحمة؛ لم يحرِّم على الإنسان الاستجابة لهذه المباهج والمُتع ، ولم يكبت الدَّوافع إليها ، ويحرِم الإنسان من الاستفادة منها ، والتَّنعم بها ، ولكنَّه نظَّم طريق الوصول إليها ، ومنع الفوضى في الاستفادة منها ، وأقام حول أسوارها الرَّقابة لتمنع الشُّذوذ والتَّعسف ، لتظلَّ نِعماً مفيدة ، ولا تنقلب بالفوضى والشُّذوذ بلاءً ونقما .

قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ

﴿سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢ ـ ٣٣].

وقال رسول الله ﷺ: «الدُّنيا حلوة خَضِرة، وإنَّ الله مُسْتَخلفكم فيها، فَناظِر كيف تعملون». [أخرجه مسلم].

إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق هذا الإنسان، وغرز في كيانه بذور الغريزة الجنسيَّة، وركَّز فيه ذلك التطلُّع إلى المرأة، والرَّغبة فيها، كما جعل مثل ذلك في كيان المرأة وفِطْرتها.

ولما كان الإسلام دين الفطرة يستجيب لها، وينظِّم مجراها شرع الزَّواج تلبية لهذا النِّداء العميق، المستقرِّ في أعماق هذا الإنسان وكيانه، وجعل الزَّواج هو الطَّريق الوحيد، الذي يعبِّر عن إشباع هذه الرَّغبة وإروائها، فلم يكبت شرعُ الله في هذه الغريزة، ويحطِّم كيان هذا الإنسان، ويحرمه من لذَّة هو خلقها فيه بتشريع الحرمان من الزَّواج، والدَّعوة إلى الرَهْبَنة والتَّبتُّل.

روى سَمُرَة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ نهى عن التَّبتُّل. [أخرجه الترمذي].

وروى سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ ردَّ على عثمان بن مظعون التبتل. [أخرجه مسلم].

لكنَّ دين الله عزَّ وجلَّ لم يلق حبل هذه الغريزة على غاربها.. ولم يترك الإنسان حراً طليقاً في إشباع نهمه الجنسي؛ بحيث يفسد نفسه وغيره، ويبدِّل نعمة الله كفراً، فيضرَّ

بالأخلاق ، ويهدم البيوت والأسر ، ويفتح الباب واسعاً لغواية الشَّيطان ووساوسه ، وإنما وقف الموقف المتوسِّط المعتدل ، فاستجاب لنداء الفطرة ، ونظَّمها بحيث تؤدِّي دورها النَّافع البنَّاء في استبقاء القِيَم ، وإرواء النَّهَم.

إنَّ الله عزَّ وجلَّ حرَّم أي صورةٍ من صورِ اجتماع الرَّجل بالمَرأة على غير أساس الزَّواج المشروع ، وقد نصَّ القرآن الكريم على ذلك في كلٍّ من جانبي الرَّجل والمرأة على السَّواء ، وركَّز على وجوب استبعاد ما يمكن أن يشيع بين الرِّجال والنِّساء من صور السِّفاح والمخادنة ، بعد ذكر الإحْصَان الذي يدلُّ على أنَّ غيره رذيلة ممقوتة ، مهما زخْرَفها الشَّيطان ، وبَهْرَجَها الهَوىٰ.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ [النساء: ٢٤].

وقال: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾ [المائدة: ٥].

وقال: ﴿ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾ [النساء: ٢٥].

والمُراد بالأُجور هنا: المُهور ، فالمَهر فَرض على الزّوج ، وهو حقٌّ للزَّوجة.

فإذا كان السِّفاح حَراماً ، والمخادَنة ممنوعة؛ سواء كان ذلك من جانب الرَّجل ، أم من جانب المرأة ، أم كان ذلك برضاهما جميعاً ، لأنَّ ذلك لا يليق بكرامة هذا الإنسان وحرمته ، فلم يبق لتحصيل اللَّذة ، وقضاء الوَطَر إلا الزَّواج المشروع ، فتعيَّن ، وكان ضرورة اجتماعيَّة ودينيَّة بمقتضى كتاب الله ، وتوجيه شرعه.

ثالثاً ـ المحافظة على النَّوع البشري سوياً سليماً:

لقد جرت سنَّة الله تعالىٰ في عباده؛ ألا يكون إنسان إلا من أبوين: رجل وامرأة ، فإذا علمنا أن دين الله تعالىٰ قد حرَّم أي اقتران بين رجل وامرأة إلا على أساس الزَّواج المشروع؛ علمنا أنَّ ذلك يعني أن الإسلام قد حصر حفظ النَّوع البشري وبقاءه بالزَّواج ، فلو حرَّم الزَّواج لانقَرض البَشر ، ولو أباح السِّفاح لكان هذا البَشر شقياً مريضاً ، والله سبحانه وتعالىٰ يحبُّ لعباده الخير ، ولا يحبُّ لهم الشَّر.

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

[البقرة: ١٤٣].

رابعاً ـ تحقيق الشُّعور بالديمومة والبقاء :

لقد أودع الله عزَّ وجلَّ في كيان هذا الإنسان غريزة حبِّ البقاء والاستمرار ، وإذا كان الإنسان في الحقيقة وواقع الحال لا يستطيع مواكبة الزَّمن ومسايرة الحياة إلا فترة قصيرة ، فإنه بواسطة ذريَّته وسلالته يجد امتداداً طبيعياً لخلوده ، وحفظ اسمه ونسبه .

لهذا أنار الله بصيرة هذا الإنسان ، وشَحَنَهُ بالميل إلى الولد ، وولد الولد ، والسعي إلى تحصيله ، وقد ضرب الله عزَّ وجلَّ المثل بزكريا عليه السلام حيث ظلَّت نفسه حية تحبُّ الولد على الكبر في السِّن ، والضَّعف في الجسم .

قال تعالىٰ : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾

[الأنبياء : ٨٩ ـ ٩٠] .

وقد لبى الدِّين الرغبة ، وحثَّ على الزَّواج لطلب الولد ، وعدَّه متعة لوالديه ، وذخراً لهما في الدَّنيا والآخرة .

قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾

[الكهف: ٤٦].

وقال: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾

[آل عمران: ١٤].

والمزيِّن لهذا إنَّما هو الله تعالىٰ، بما أودع في قلوب عباده من حبِّ ذلك والرَّغبة فيه والسَّعي إليه.

وروى أبو داود عن مَعْقل بن يسار رضي الله عنه: أن رجلاً جاء إلى النَّبي ﷺ فقال: إنِّي أحببت امرأة ذات حسب وجمال، وأنَّها لا تلد، أفأتزوجها؟ فقال النبي ﷺ: لا. ثم أتاه الثَّانية فنهاه، ثم أتاه الثَّالثة، فقال: «تزوَّجوا الودود الولود فإنِّي مُكاثر بكم الأمم يوم القيامة».

وقال ﷺ: «إذا مات ابن آدم؛ انقطع عمله إلا من ثلاث: صَدَقة جارية، أو عِلمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له». [رواه مسلم].

وقد دعا الله عزَّ وجلَّ عباده أن يتوجَّهوا إليه في طلب الولد الصَّالح، والذُّرية الطيِّبة التي يكون فيها الشُّعور بالبقاء والسَّعادة.

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا

﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

قال الإمام الغزالي: لقد أودَع الله تحت تلك الشَّهوة حياتين: حياة ظاهِرة، وحياة باطِنة.

فالحياة الظَّاهِرة: حياة المرء ببقاء نسْلِه، فإنَّه نوع من دَوام الوجود.

والحياة الباطِنة: هي الحياة الأُخروية، فإنَّ هذه اللذَّة: أي لذَّة الجِماع؛ تُحرِّك الرَّغبة إلى اللذَّة الكاملة في الآخرة. [الإحياء: ٢/ ٣١].

فإذا كان كلُّ هذا الذي ذكرناه لا يتم ولا يحصل إلا بالزَّواج المشروع؛ علمنا حقَّ العلم: أن الزَّواج واجبٌ دينيٌّ وضرورة اجتماعيَّة.

خامساً ـ إمداد المجتمع الإسلامي بنسل صالح، ونشئ مهذَّب:

إنَّ الإسلام رغَّب في كثرة النَّسل، ودعا إليه، وجعله من بين أهدَافه ومَقَاصده، في إنشاء المجتمع المَهيب المَرهوب، فقال رسول الله ﷺ: «تزوَّجوا الودود الولود فإنِّي مُكاثر بكم الأمم يوم القيامة» [رواه أبو داود].

ودعا القرآن إلى الزَّواج، ووجَّه نظر الأولياء إلى تزويج

أبنائهم وبناتهم ، تحقيقاً لهذا الغرض .

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور: ٣٢].

إنَّ إمداد المجتمع بنشئ صالح ، يولدون في ظلال أسرة تقيَّة نقيَّة ، بين أبوين حانيين عطوفين شفيقين ، يعرفان كيف تُصاغ عُقول هذا النَّشئ ، وكيف تُربى مواهبه ، وتُنمى مَلَكَاته ، وتُهذَّب عواطفه ، وتُشَدّ عضلاته ؛ أفضلُ للمجتمع من إمدادِه بأولادٍ ألقت بهم المخابئ المظلمة ، وكانوا ضحية النَّزوات المحرَّمة الطَّائشة .

إنَّ من المُشاهد أنَّ المجتمعات التي تكثر فيها الفاحشة ، وينتشر فيها الزِّنى ؛ يكثر فيها الأولاد غير الشَّرعيين ، فيلقون في الأزقَّة ، حتى يجدوا عابر سبيل يلمهم مع القمامة ، ويضعهم في الملاجئ التي لا تزيدهم مع الأيام إلا عُقَداً وشقاءً ، ولا تؤهِّلهم إلا للكراهية العاتية ضد الحياة والأحياء .

إنَّ الزَّاني لا يربطه بولد الزِّنىٰ أيَّة رابطة من نسب ولا عطف ، ولا إحساس بوجوب رعايته والبحث عنه ، والإحسان إليه .

إنَّ الزِّنى يحمِّل كلَّ البلاء والعداء للنَّسل والذُّرية ، وكلَّ المضرَّة والفساد للأمَّة والمجتمع .

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

إنَّ الزَّاني لا هم له إلا تحصيل اللذَّة العابرة، الخالية من تحمُّل أيَّة مسؤوليَّة تجاه الضَّحيَّة، وتجاه من دنَّس شرفها، وانتهك عِرضها، ولوَّث سمعتها، ولا شكَّ أنَّ الزَّانية هي أيضاً قد فقدت ضميرها، واستهانت بشرفها، وباعت كرامتها وإنسانيتها بشهوة رخيصة، ونَزوة عابرة، وما أجدر الزُّناة من الجنسين، باحتقار المجتمع لهم، والإزدراء بهم.

قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢ ـ ٣].

إذا كان الزَّواج الشَّريف الموفَّق هو الدِّرع الواقي من الرَّغبة في الزِّنى والوقوع فيه، فإنَّ الزَّواج والحالة هذه ضرورة دينيَّة واجتماعيَّة لا يشكُّ فيها عاقل بصير. ولا غيور شريف.

قال رسول الله ﷺ: «يا مَعشَر الشَّباب من استطاع منكم البَاءَة فليتزوَّج، فإنه أغضُّ للبَصر، وأحصَنُ للفَرج، ومَن لم يستطع فعليه بالصَّوم، فإنَّه له وِجاء». [رواه البخاري ومسلم].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

سادساً ـ الحفاظ على الأخلاق من الهبوط والانهيار ، وعلى المجتمع من الخراب :

إنَّ الإنسان إذا منع من الزَّواج المشروع؛ تاقت نفسُه إلى تحصيل حاجته من الطَّريق الممنوع ، ولا يخفى على عاقل ما في السِّفاح والزِّنى من فساد الأخلاق ، وخراب الأسر ، وهتْك الأعراض ، وانتشار الأمراض ، وقَلَقِ النُّفوس والأرواح.

إنَّ المُتحضِّر الذي صاغه الدِّين وصانه ، لا يمكن أنْ يسلك طريق البهائم ، وينزو كالوحوش ، بغير وازعِ أدبٍ ، ولا تأنيب ضميرٍ ، وإنَّما عليه أنْ يسلك بما يتناسب وإنسانيَّته التي نالت حظّاً من تكريم الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] لتحقيق النَّتائج التي توخَّاها الدِّين في إقامة هذه الحياة ، والقانون السَّوي الذي تصلح به الحياة ، ويقوم به العمران ، وتُصان به الفضيلة ، وتزول به الرَّذيلة إنما هو الزَّواج الشَّريف. فيه تتحقَّق المقاصد السَّامية التي تنأى به عن الحيوانيَّة ، وتبتعد به عن العدوان والانحراف.

إنَّ من مقاصد الزَّواج ، وتكوين الأسرة سلامة المجتمع من العلـل والأدواء ، التـي تهـدِّده فـي كـلِّ لحظـة بـالـزَّوال والاضمحلال ، وسلامته من الأمراض التي تنخر في كيانه ، وتطحن أفراده ، وتفتك في أبنائه ، نتيجة شُيوع الفاحشة ، والانغماس في حمأة الرَّذيلة . فإنَّ هذه العيوب والمآسي ، والأخطار والدَّواهي كلُّها متفشِّية في المجتمعات المتحلِّلة ، التي عزفت عن الزَّواج ، وآثرت الفواحش .

وما هذا الغول المخيف (الإيدز) عن إدراك النَّاس وأذهانهم ببعيد .

وصدق الله عزَّ وجلَّ إذ يقول : ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر : ٢] .

سابعاً ـ تكوين مَلَكَة المسؤولية ، وإزكاء روح القيام بالواجب الدِّيني والإجتماعي :

إنَّ من أهداف الزَّواج ومقاصده؛ رفع روح الفرد وضميره ، إلى مستوى المسؤولية الكاملة المترتبة على هذا الزَّواج الشَّريف ، وهذا واجب يصيب الزَّوج والزَّوجة ، حتَّى الأفراد الآخرين في داخل الأُسرة ، فالزَّوج مطالب بالسَّعي الدَّائب وراء الرِّزق ، وتأمين الكِفاية لأُسرته ، وأيُّما تأخير ، أو تقصير

يصيب الأُسرة بمَضَرَّة أو مَعَرَّة يُعد هذا الزَّوج مؤاخذاً به ، ومسؤولاً عنه في الدِّين والدُّنيا .

قال رسول الله ﷺ : «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت» .
[رواه أبو داود] .

وإلى جانب المسؤولية الماديّة هناك المسؤولية المعنويّة ، فإن واجب الزَّوج في رعاية أسرته من النَّاحية الخُلُقيَّة والرُّوحِيَّة والنَّفْسِيَّة لا تقل عن واجبه من النَّاحيَة الماديَّة والمعاشيَّة . بل هي تفوقها ، وتسمو عليها .

إنَّ الزَّوج الرَّاشد العاقل ، الَّذي يعيش في ظل آداب الإسلام ، ومجتمع الإسلام ؛ ليجد نفسَه مسؤولاً عن أُسرته ، وعن السَّعي إلى رفع مكانتها من كلِّ النَّواحي ، وهو في تمام الاستعداد لتحمُّل التَّعب ، والنَّصب ، والأذى في سبيل إسعادها ، وتهيئة المناخ السَّامي لها ، والنُّهوض بها إلى المستوى الذي يجعلها خليَّة حيَّة ، تتفاعل مع المجتمع ، وتؤدِّي دورها في خدمته ، والإحسان إليه .

والزَّوجة ، وهي قرين الزَّوج وشريكته في تكوين الأسرة ـ وإنْ كانت لا تكلَّف عبء السَّعي لتأمين المعيشة ـ فإنَّها تكلَّف ببذل غاية الجهد لتأمين الفضيلة ، وتكوين الخليَّة الرَّاقية ، وصرف الرَّذيلة عن رحاب الأسرة ، فهي عضو فعَّال ، لا تقل

أهميتها عن الرَّجل في تحمُّل المسؤوليَّة ، والشُّعور بالواجب .

فالزَّواج الشَّريف يضع المرأة على منصَّة المسؤوليَّة ، ويُحمِّلها في خِدرها واجب الخِدمة ، والقِيام بالرِّعاية ، وأداء الأمانة ، وبذل الجهد في نُصح الزَّوج والأُسرة ، ومن ثَمَّ نُصح المجتمع والأمَّة .

والأولاد في أحضان الأبوين ، وداخل الأُسرة هم أيضاً أعضاء عاملون ، ملتزمون برعاية الأدب ، وصيانة الفضيلة ، وحراستها من تسلُّل الرَّذيلة والإهمال والفوضى إليها .

إنَّ الإسلام يسعى من وراء الزَّواج إلى تحقيق هذه المقاصد كلِّها ، وهي نتيجة من نتائجه المباركة الطَّيبة .

لا شكَّ أنَّه إذا تحقق هذا التَّعاون البنَّاء ، بين أفراد الأُسرة؛ سرى في كيانها روح العزَّة والكرامة ، وتوفَّر لأفرادها ضمان النَّشئة ، وشرف النَّفس ، وكرامة الخِصال .

إنَّ هذا المَنْبت الكريم ، والمسؤولية العظيمة؛ لا تتوفر في بيوت الزِّنى والسِّفاح ، ولا بين لُقطاء الشَّوارع والأَزِّقة ، ولا يتمتع أخدان السُّوء بهذه الشِّيم ، ولا يشعرون بهذه السَّعادة والطُّمأنينة ، ولا يجدون ضرورة لتحمُّل أيَّة تبِعة أو مسؤوليَّة ،

وإنْ تَرتَّبَ على نزواتهم الطَّائشة ، وصِلاتهم الخبيثة خراب الأمة ، ودمار المجتمع .

إنَّ ضغوط المطالب المترتِّبة على الزَّوجين ، وثقل الأعباء المُلقاة على كواهِلهما ، وكثرة الواجبات التي تصرخ بين أيديهما ، والضرورة التي تناديهما صباح مساء ؛ أنْ هَلمَّا إلى الواجب ، واحذرا التَّفريط والتَّقصير ، إنَّ هذا كلَّه يعجن طينة الزَّوج بالمسؤولية ، ويصوغ عجينة المرأة بالواجب ، ويضع القرينين الشَّريكين أمام محكِّ الامتحان والاختبار ، وما مِن أحدٍ عاقلٍ يحبُّ الفشل وخيبة الآمال .

وقد قرَّر ديننا الحنيف هذه المسؤولية ، وسعى إلى إيجادها وقيام أسبابها .

قال رسول الله ﷺ : «ألا كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته ، فالإمام الأعظم الَّذي على النَّاس راعٍ ، وهو مسؤول عن رعيَّته ، والرَّجل راع على أهله ، وهو مسؤول عن رعيَّته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهي مسؤولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده ، وهو مسؤول عنه ، ألا فكلكم راع ، و كلُّكم مسؤول عن رعيَّته» . [أخرجه البخاري] .

من هذا كلِّه نعرف حق المعرفة ؛ أنَّ الزَّواج واجب ديني وضرورة اجتماعيَّة .

ثامناً ـ توسيع دائرة القرابة ، وبناء دعائم التَّعاون :

في الزَّواج تمتد رقعة القرابة ، وتتسع دائرة النَّسب ، فتلتقي عائلتان ، ويجتمع شمل أسرتين ، وتنشأ بينهما بسبب المصاهرة روابط جديدة ، وقرابات حادثة ، ومحبَّة متبادلة ، وهذه أغراض مقصودة للدِّين ، وأهداف محبوبة ، وهي أمور مشاهدة بين الأسر المتناسبة .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤] .

وهذا من باب المنِّ والفضل على العباد ، حيث خلقهم ، وجعل لهم قرابتين تربطان بينهم : قرابة النَّسب ، وقرابة المصاهرة .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾

[النحل : ٧٢] .

من أنفسكم : من جنسكم ، وفي هذا مَنٌّ ، لأن الجنس أميل إلى جنسه ، وبه آلف .

حَفَدَة : قيل : هم أولاد الأولاد ، وقيل : الأصهار : أختان الرجل على بناته ، وأصل الحَفَدَة عند العرب : الأعوان ، وأياً

كان المراد بالحفدة ، فإنَّهم ثمرة الزَّواج ، ومادة القرابة والتَّعاون.

وبالزواج يتم التَّعاون بين الزَّوجين ، فالزَّوجة تعين زوجها في شؤونه : في مأكله وملبسه ومسكنه ، وتربية أولاده ، ورعاية بيته ، والزَّوج يعاونها في تأمين حاجاتها ، وتحصيل نفقتها ، والدِّفاع عنها ، وحمايتها ، والمحافظة على عرضها ، والإسلام دين التَّعاون والتَّكافل وقد شرع الزَّواج لتحقيق مثل هذه الأغراض الشَّريفة ، والمطالب المفيدة ، ومن هنا يظهر أن الزَّواج واجب ديني ، وضرورة اجتماعية.

تاسعاً ـ تحقيق العبودية لله تعالىٰ :

ففي الزَّواج إستجابة لدواعي الدِّين ، ومتطلَّبات الفِطرة.

فالله عزَّ وجلَّ جعل الزَّواج الوسيلة الصَّالحة لوجود الإنسان وانتشاره في هذه الأرض.

وجعل بيت الزَّوجية هو الحضن الذي يتربى فيه هذا الإنسان ، وينمو فيه.

وجعل الأبوين مسؤولين عن هذا النشء ، والقيام برعايته والعناية به ، ليتأهَّل هذا الإنسان بحسن التَّربية والرِّعاية لدوره البَنَّاء في عمارة هذه الأرض ، وإقامة دعائم الحقِّ والعدل فيها.

لذلك طالب ربُّنا عزَّ وجلَّ عباده بتشييد دعائم الزَّواج والسَّعي في تحصيله.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢].

وقال رسول الله ﷺ، وهو المتكلِّم بلسان الوحي: «يا معشر الشَّباب من استطاع منكم البَاءَة فليتزوَّج، فإنَّه أغضُّ للبصر، وأحصن للفَرج، ومن لم يستطع فعليه بالصَوم، فإنَّه له وِجاء». [رواه البخاري ومسلم].

ولم يرض النَّبي ﷺ لبعض أصحابه أن ينقطعوا للعبادة، ويتركوا الزَّواج، بل أرشدهم إلى أنَّ الزَّواج عبادة، وأنَّه من سنَّته ﷺ.

فالإقبال على الزَّواج بدافع الإستجابة لهذه الأوامر، والتَّطبيق لهذه التَّكاليف، لتوخِّي أغراض الزَّواج، لا شكَّ أنَّه يعني الطَّاعة لأوامر الدِّين وتوجيهاته، والطَّاعة هي العبادة، التي فرض الله على النَّاس ممارستها والتَّحلي بها.

فبالزَّواج إذاً يحقق العبد معنى العبودية لله تعالىٰ، والالتزام بما كلفه به، ودعاه إليه، لأن الزَّواج هو الوسيلة إلى تحصين النَّفس، وتكثير النَّسل، وإقامة صرح الفضيلة، وقمع

الرذيلة. وقد عدَّ النَّبي ﷺ المعاشرة الزَّوجية، وهي من ثمرات الزَّواج عبادة، فقال: «وفي بَضْع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له بها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر». [رواه مسلم].

وقال ﷺ لعكاف بن وداعة، وقد أتاه: «ألك زوجةٌ يا عكاف؟» قال: لا. قال: «ولا جارية؟» قال: لا. قال: «وأنت صحيح موسر؟» قال: نعم، والحمد لله، قال: «فأنت إذاً من إخوان الشَّياطين، إن كنت من رهبان النَّصارى فالحق بهم، وإن كنت منَّا، فاصنع كما نصنع، فإنَّ من سنَّتنا النِّكاح، شِراركم عزَّابكم، وإنَّ أرذل موتكم عزَّابكم». [أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، وابن عبد البَر]. وهذا الحديث، وإن كان في إسناده بعض المقال، فإن معناه مستقيم، فإنَّ الزَّواج من سنن الهدى، والتَّبتُّل ليس من سنَّة الإسلام، فإذا كان الزَّواج عبادة؛ عَلِمنا أنَّه ضرورة اجتماعيَّة ودينيَّة محقَّقة.

وفي خاتمة هذا المطاف بين دواعي الزَّواج، ومقتضياته، ننقل كلاماً نفيساً في هذا المجال للإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ، يؤكد كثيراً مما قلناه.

قال رحمه الله تعالىٰ: في فوائد النكاح: (وفيه فوائد خمسة:

الولد ، وكسر الشهوة ، وتدبير المنزل ، وكثرة العشيرة ، ومجاهدة النَّفس بالقيام بهن .

الفائـدة الأولى :

الولد ، وهو الأصل ، وله وضع النِّكاح ، والمقصود إبقاء النِّسل ، وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس ، وإنَّما الشَّهوة خلقت باعثة مستحثَّة .

وقال : وفي التَّوصل إلى الولد قربة من أربعة أوجه ، هي الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشَّهوة ، حتى لم يحبَّ أحدهم أن يلقى الله عَزبا .

الأول : موافقة محبَّة الله بالسَّعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان .

الثاني : طلب محبَّـة رسول الله ﷺ في تكثير مَنْ به مباهاته .

الثالث : طلب التَّبرك بدعاء الولد الصالح بعده .

الرابع : طلب الشَّفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله .

أما الوجه الأول : فهو أدقُّ الوجوه وأبعدها عن أفهام الجماهير ، وهو أحقها وأقواها عند ذوي البصائر النَّافذة في عجائب صنع الله تعالىٰ ، ومجاري حكمه .

وبيانه : أن السيد إذا سلَّم إلى عبده البذر وآلات الحرث ،

وهيأ له أرضاً مهيئة للحراثة ، وكان العبد قادراً على الحراثة ، ووكِّل به من يتقاضاه عليها ، فإن تكاسل ، وعطَّل آلة الحرث ، وترك البِذر ضائعاً حتَّى فسد ، ودفع الموكَّل عن نفسه بنوع من الحيلة ؛ كان مستحقاً للمقت والعتاب من سيده.

والله تعالى خلق الزَّوجين ، وخلق الذَّكر والأُنثى ، وخلق النُّطفة في الفقار ، وهيأ لها في الأُنثيين عروقاً ومجاري ، وخلق الرَّحم قراراً ومستودعاً للنُّطفة ، وسلَّط متقاضي الشَّهوة على كلٍّ واحد من الذَّكر والأنثى.

فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذَلقٍ في الإعراب عن مُرادِ خالقها ، وتنادي أرباب الألباب بتعريف ما أعدَّت له.

هذا إن لم يصرِّح به الخالق تعالىٰ على لسان رسول الله ﷺ بالمراد حيث قال: «تناكحوا تكثروا» فكيف وقد صرَّح بالأمر ، وباح بالسِّر ، فكلٍ ممتنع عن النِّكاح معرض عن الحراثة ، مضيِّع للبذر ، معطِّل لما خلق الله من الآلات المعدَّة ، وجان على مقصود الفطرة ، والحكمة المفهومة من شواهد الخِلقة المكتوبة على الأعضاء بخط إلهي ، ليس برقم حروف وأصوات ، يقرؤه كلُّ من له بصيرة ربانيَّة نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزليَّة ، ولذلك عظَّم الشَّرع الأمر في القتل للأولاد ،

وفي الوأد ، لأنَّه منعٌ لتمام الوجود ، وإليه أشار من قال: «العزل أحد الوأدين»[1] .

فالناكح ساعٍ في إتمام ما أحبَّ الله تعالىٰ تمامه ، والمعرض معطلٌ ومضيِّعٌ لما كره الله ضياعه ، ولأجل محبَّة الله تعالىٰ لبقاء النُّفوس أمر بالإطعام ، وحثَّ عليه ، وعبَّر عنه بعبارة القرض ، فقال: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] .

الوجه الثاني: السَّعي في محبَّة رسول الله ﷺ بذلك ، ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلِّها ما روي عن عمر رضي الله عَنْهُ أنه كان ينكح كثيراً ويقول: إنما أنكح للولد. وما ورد من الأخبار في مذمةِ المرأة العقيم ، إذ قال عليه الصلاة والسلام: (خير نسائكم الولود الودود)[2] .

وهذا يدلُّ على أنَّ طلب الولد أدخل في اقتضاء فضل النِّكاح من طلب دفع غائلة الشَّهوة ، لأنَّ الحسناء أصلحُ للتَّحصين وغضِّ البصر وقطع الشَّهوة .

الوجه الثَّالث: أن يبقي بعده ولداً صالحاً يدعو له ، كما ورد

---

(١) أخرجه مسلم ، ولفظه: الوأد الخفي .

(٢) رواه البيهقي في «السنن» (٧/ ٧٨) ، وقال البيهقي: وروي بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلاً .

في الخبر: أنَّ جميع عمل ابن آدم له منقطع إلا ثلاثاً ، فذكر الولد الصالح.

وقول القائل: إنَّ الولد ربما لم يكن صالحاً؛ لا يؤثِّر فيه ، فإنَّهُ مؤمنٌ والصَّلاحُ هو الغالب على أولاد ذوي الدِّين ، لا سيما إذا عزم على تربيته وحمله على الصَّلاح. وبالجملةِ ، دعاء المؤمن مفيد بَرّاً كان أو فاجراً ، فهو مُثابٌ على دعواته وحَسَنَاتِه ، فإنَّـهُ من كسبه ، وغير مؤاخَذٍ بسيئاته ، فإنَّـهُ لا تَـزِرُ وازرةٌ وزرَ أُخرىٰ ، ولذلكَ قال تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١] ، أي ما نَقَصْناهم من أعمالهم ، وجعلنا أولادهم مزيداً من إحسانهم.

الوجه الرَّابع: أنْ يموت الولد قبله فيكون له شفيعاً فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن الطفل يجر أبويه إلى الجنة)[1] وفي بعض الأخبار (يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك). وقال أيضاً ﷺ: (إنَّ المرء يقال له: ادخل الجنَّـة ، فيقف على باب الجنة محبنطئا ـ أي ممتلئاً غيظاً وغضباً ـ. ويقول: لا أدخل

---

(١) رواه ابن ماجة رقم (١٦٠٨) في الجنائز: باب ما جاء فيمن أصيب بسقط ، ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٥) وإسناده صحيح ، والنسائي (٤/ ٢٣) في الجنائز: باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة.

الجنَّـةَ إلا وأبواي معي ، فيقال: أدخلوا أبويه معهُ الجنَّة)[1].

وقال ﷺ: (من مات له اثنان من الولد ، فقد احتظر بحظار من النَّار)[2]. وقال ﷺ: (من مات له ثلاثة. لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنَّةِ بفضل رحمته إيَّاهم ، قيل: يا رسول الله ، واثنان؟ قال واثنان)[3].

وأحد المعاني المذكورة في قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣] ، تقديم الأطفال إلى الآخرة

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٥) وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٣٨٣): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، غير شرحبيل وهو ثقة. ومحبنطي: افعنلي ممتنعاً من دخول الجنة امتناع طلب لا امتناع إباء.

(٢) رواه مسلم رقم (٦٣٦) و(١٥٥) في البر والصلة والآداب ، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ، والبخاري في «تاريخه» رقم (٧٨٣).

(٣) رواه البخاري رقم (١٢٤٨) في الجنائز: باب فضل من مات له ولد فاحتسب ، وباب ما قيل في أولاد المسلمين. والنسائي (٤/ ٢٤). في الجنائز: باب ثواب من احتسب ثلاثة من صلبهِ وابن ماجه رقم (١٦٠٥) في الجنائز: باب ما جاء في ثواب من أصيب ولده ، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٥٢).

فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة أن أكثر فضل النّكاح لأجل كونه سبباً للولد.

الفائـدة الثانية:

التَّحصُّن عن الشَّيطان. وكسر التَّوقان، ودفع غوائل الشَّهوة، وغضّ البصر، وحفظ الفرج: وإليه أشار بقوله عليه السلام: (من نكح فقد حصَّن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر)[1]. وإليهِ الإشارةُ بقوله: (عليكم بالباءة، فمن لم يستطع فعليه بالصوم، فإن الصوم له وجاء)، وأكثر ما نقلناهُ من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنىٰ، وهذا المعنىٰ دون الأول، لأنَّ الشَّهوة موكلة بتقاضي تحصيل الولد، فالنّكاح كافٍ لشغله، دافع لجعله وصارف لشر سطوته. وليس من يجيب مولاه رغبةً في تحصيل رضاه، كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التَّوكيل.

فالشَّهوةُ والولد مقدران وبينهما ارتباط، وليس يجوز أن يقال: المقصود اللذَّة، والولد لازم منهما، كما يلزم مثلاً قضاء الحاجة من الأكل، وليس مقصوداً في ذاته. بل الولد هو المقصود بالفطرة، والحكمة، والشَّهوة باعثة عليه.

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ١٦١) وقال: صحيح الإسناد. ووافقهُ الذهبي. ورواه الطبراني في الأوسط.

ولَعَمْري في الشَّهوة حكمة أخرىٰ سوىٰ تحصيل الأولاد ، وهو ما في قضائها من اللَّذَّة التي لا توازيها لذَّة لو دامت ، فهي منبِّهة على اللذَّات الموعودة في الجنـان ، إذ التَّرغيب في لذَّة لم يجد لها ذواقاً لا ينفعُ ، فلو رغِّبَ العِنين في لذَّة الجِمـاع ، أو الصَّبي في لذَّة المُلك والسَّلطنة ، لم ينفع الترغيب .

وإحدىٰ فوائد لذَّات الدُّنيا الرَّغبة في دوامها في الجنَّةِ ليكونَ باعثاً على عبادة الله فانظر إلى الحكمة ، ثم إلى الرَّحمة ، ثم إلى التعبية الإلهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان : حياة ظاهرة ، وحياة باطنة ، فالحياة الظَّاهرة : حياة المرء ببقاء نسله ، فإنَّهُ نوع من داوم الوجود . والحياة الباطنة : هي الحياةُ الأُخروية ، فإن هذه اللذَّة النَّاقصة بسرعة الانصرام ، تحرِّك الرَّغبة في اللذَّة الكاملة بلذَّة الدَّوام ، فيستحث على العبادة الموصلة إليها ، فيستفيد العبد بشدَّةِ الرَّغبة فيها ؛ تيسر المواظبة على ما يوصله إلى نعيم الجنان . وما ذَرَّة من ذرَّات بدن الإنسان باطناً وظاهراً ، بل ذَرَّاتِ ملكوت السَّموات والأرض ، إلا وتحتها من لطائف الحكمةِ وعجائبها ما تحار العقول فيها .

فالنِّـكاحُ بسبب دفعِ غائلة الشَّهوةِ مهم في الدِّين لكلِّ من لا يُؤتىٰ عن عجز وعنَّة ، وهم غالب الخلق ، فإنَّ الشَّهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التَّقوىٰ ؛ جرَّت إلى اقتحام الفواحش ،

وإليهِ أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[1] وإنْ كانَ ملجماً بلجام التَّقوىٰ فغايتـه أنْ يكفَّ الجوراح عن إجابة الشَّهوة ، فيغض البصر ، ويحفظ الفرج.

فأمَّا حفظ القلب عن الوساوس والفكر ، فلا يدخلُ تحت اختيارهِ ، بل لا تزال النَّفس تجاذبه وتحدثه بأمور الوِقاع ، ولا يفتر عنه الشيطان الموسوِس إليه في أكثر الأوقات ، وقد يعرض له ذلك في أثناء الصلاة ، حتىٰ يجري على خاطره من أمور الوِقاع ما لو صرَّح بهِ بينَ أيـدي أخسِّ الخلـق لاستحيا منه ، واللهُ مطَّلع على قلبه ، ورأس الأمور للمريد في سلوك طريق الآخرةِ قلبُه. والمواظبة على الصَّوم لا تقطع مادة الوسوسـة في حق أكثر الخلق ، إلا أنْ ينضافَ إليه ضعف البـدَن ، وفساد في المِزاج ، ولذلكَ قال ابن عباس رضي اللهُ عَنْهُما: لا يتمُ نسك النَّاسـك إلا بالنِّـكاح.

وهذه محنة عامَّة قلَّ مَنْ يتخلَّص منها ، قال قتادة في معنىٰ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وهو الغُلْمة[2].

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤) في النكاح وابن ماجه رقم (١٩٦٧).
(٢) الغُلمة ، بالضم ، الشَّبق وهو حدَّة الشَّهوة.

وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾: إنَّه لا يصبر عن النِّساء.

وهذه بليَّة غالبة، إذا هاجت لا يقاومها عقلٌ ولا دين، وهي مع أنَّها صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين كما سبق، فهي أقوىٰ آلةٍ للشَّيطان على بني آدم، وإليهِ أشارَ عليه السلام بقوله: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب منكن)[1]، وإنما ذلكَ لهيجان الشَّهوةِ. وقال رسول الله ﷺ في دعائه: (اللهم، إني أعوذُ بك من شرِّ سمعي وبصري، وشرِّ لساني وقلبي، وشرِّ منيي)[2]. فما يستعيذ منه

---

(١) قطعة من حديث طويل رواه البخاري رقم (٩٥٦) في العيدين: باب الخروج إلى المصلىٰ بغير منبر و(٣٠٤) في الحيض: باب ترك الحائض الصوم و(١٤٦٢) في الزكاة: باب الزكاة على الأرقاب و(١٩٥١) في الصوم. باب الحائض تترك الصوم والصلاة (٢٦٥١) في الشهادات: باب شهادة النساء. ومسلم رقم (٨٨٩) في العيدين: في فاتحته.

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٤٨٧) في الدعوات: باب الاستعاذة من شر السمع. وأبو داود رقم (١٥٥١) في الصلاة: باب الاستعاذة. والنسائي (٨/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠). في الاستعاذة من شر السمع والبصر. وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٢٩) وحسَّنه الترمذي.

رسول الله ﷺ كيف يجوزُ التَّساهل فيه لغيره؟!

وكان الجنيد يقول: أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت ، فالزَّوجة على التَّحقيق قوت ، وسببٌ لطهارة القلب ، ولذلكَ أمر رسول الله ﷺ كلَّ من وقع نظره على امرأة ، فتاقت إليها نفسه ، أن يجامع أهله ، لأنَّ ذلكَ يدفع الوسواس عن النَّفس.

وروىٰ جابر رضي اللهُ عنهُ: أنَّ النَّبي ﷺ رأىٰ امرأة فدخل على زينب فقضىٰ حاجته وخرج ، وقال ﷺ: «إنَّ المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان ، فإذا رأىٰ أحدكم امرأة فأعجبته ، فليأتِ أهله ، فإن معها مثل الذي معها»[1].

---

(١) رواه مسلم رقم (١٤٠٣) في النكاح: باب ندب من رأىٰ امرأة فوقعت في نفسه. وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: هذه الرواية مبيِّنة للأولى ومعنىٰ الحديث: أنَّه يستحبُ لمن رأىٰ امرأة فتحرَّكت شهوته أن يأتي امرأتهُ أو جاريتهُ إن كانت له ، فليواقعها ليدفع شهوته ، وتسكن نفسه ، ويجمع قلبه على ما هو بصدده. وقال العلماء: معناهُ الإشارة إلى الهوىٰ ، والدعاء إلى الفتنة بها ، لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النِّساء والالتذاذ بنظرهن وما يتعلق بهن ، فهي شبيهة بالشَّيطان في دعائه إلى الشرِّ بوسوسته وتزيينه له.

وقال عليه الصلاة والسلام: (لا تدخلوا على المغيَّبات ـ وهي التي غاب عنها زوجها ـ فإنَّ الشَّيطان يجري من أحدكم مجرىٰ الدَّم. قلنا: ومنك؟ قال: ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلَمُ)[1] قال سفيان بن عيينه: فأسلَمُ، معناه: فأسلمُ أنا منه هذا معناه، فإن الشَّيطان لا يُسلِمُ.

وقال ابن عباس: (خير هذه الأمة أكثرها نساء)[2]. ولما كانت الشهوة أغلبُ على مزاج العرب كان استكثار الصَّالحين منهم للنِّكاح أشد. ولأجل فراغ القلب أُبيح نكاحُ الأَمَة عند خوف العَنَت، مع أن فيه إرقاق الولد، وهو نوع إهلاك، وهو محرم على كل من قدر على حرَّة، ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاكِ الدِّين، وليس فيه إلا تنغيص الحياة على الولد مدَّة، وفي اقتحام الفاحِشة تفويت الحياة الأخروية التي تستحقر الأعمار الطويلة بالإضافة إلى يوم من أيَّامها.

فإذن في النكاح فضل من هذا الوجه، ولكن هذا لا يعمُّ

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٢٤٣)، (٥٢٤٤) في النكاح: «باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة مخافة أن يخوفهم أو يلتمس عثراتهم. ومسلم رقم (٧١٥) في الإمارة: باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلاً.

(٢) أخرجهُ البخاري رقم (٥٠٩٦) في النكاح: باب كثرة النساء.

الكلَّ ، بل الأكثر ، فربَّ شخص فترت شهوته لكبر سنٍ ، أو مرضٍ ، أو غيره ، فينعدم هذا الباعث في حقِّه ، ويبقىٰ ما سبق من أمر الوَلَد ، فإنَّ ذلكَ عامٌ إلا للممسوح ، وهو نادر .

ومن الطِّباع ما تغلب عليها الشَّهوة بحيث لا تحصِّنه المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزِّيادةُ على الواحدة إلى الأربع ، فإنْ يسَّر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبهُ بهن ، وإلا فيستحبُ له الاستبدال ، فقد نكح علي رضي اللهُ عَنْهُ بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال .

وكان في الصَّحابة من له الثَّلاث والأربع ، ومن كان له اثنتان لا يحصىٰ . ومهما كان الباعثُ معلوماً فينغي أن يكون العلاج بقدر العِلَّة ، فالمراد تسكين النَّفس ، فلينظر إليه في الكثرة والقلة .

الفائـدة الثَّـالثة :

تـرويـح النَّفـس ، وإينـاسهـا بـالمجـالسـة ، والنَّظـر والملاعبة . . . إراحةً للقلب ، وتقويةً لهُ على العبادة : فإنَّ النَّفسِ مَلول ، وهي عن الحقِّ نَفُور ، لأنَّه على خلافِ طبعها ، فلو كلِّفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها ؛ جمحت وثابَت ، وإذا روِّحت باللذات في بعض الأوقات ؛ قويت ونَشَطَتْ .

وفي الاستئناسِ بالنِّساء ، من الاستراحة ما يزيل الكَرْب ، ويروِّح القلب ، وينبغي أنْ يكونَ لنفوس المتَّقين استراحات

بالمباحات ، ولذلكَ قال الله تعالى : ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]. وقال علي رضي الله عنه : روِّحوا القلوب ساعة ، فإنها إذا أكرهت عميت ، وفي الخبر : (على العاقل أن يكون لهُ ثلاث ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسبُ فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه ، فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات لله)(١).

ومثله بلفظ آخر : (لا يكون العاقل ظاعناً إلا في ثلاث : تزوُّد لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذَّة في غير محرَّم)(١).

وقال عليه الصلاة والسلام : (لكل عامل شِرَّة ، ولكل شِرَّة فترة ، فمن كانت فترته إلى سنَّتي فقد اهتدىٰ)(٢). والشِّرَّة : الجدُّ والمكابدة بحدَّة وقوَّة ، وذلكَ في ابتداء الإرادة . والفترة : الوقوف للاستراحة .

وكان أبو الدَّرداء يقول : إني لأستجم نفسي بشيء من اللَّهو لأتقوىٰ بذلك فيما بعد على الحقِّ .

---

(١) قال الحافظ العراقي : رواه ابن حبان من حديث أبي ذر الطويل وأن ذلكَ في صحف إبراهيم .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٤٥٥) في صفة القيامة باب رقم (٢١) وقال : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وصححه ابن حبان رقم (٢٥١٨) «موارد» .

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: (حبب إلي من دنياكم: الطِّيب والنِّساء، وقرة عيني في الصَّلاة)[1]، فهذه أيضاً فائدة لا ينكرها من جرَّب إتعاب نفسهِ في الأفكار والأذكار وصنوف الأعمال. وهي خارجةٌ عن الفائدتين السَّابقتين، حتَّىٰ أنَّها تطَّرد في حقِّ الممسوح ومن لا شهوة له، إلا أنَّ هذه الفائدة تجعلُ النِّكاحَ فضيلة، بالإضافة إلى هذه النِّية، وقلَّ من يقصد بالنِّكاحِ ذلك. وأما قَصْد الولد، وقصد دفع الشَّهوة، وأمثالها. فهو مما يكثر. ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى الماء الجاري والخضرة، وأمثالها.. ولا يحتاجُ إلى ترويحِ النَّفس بمحادثة النِّساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص، فليتنبَّه له.

الفائدة الرَّابعة:

تفريغ القلب عن تدبير المنزل، والتَّكفُّل بشغل الطَّبخ، والكنس، والفرش، وتنظيف الأواني، وتهيئة أسباب المعيشة.

فإنَّ الإنسان لو لم يكن له شهوة الوقاع؛ لتعذر عليه العيشُ

---

(١) رواه النسائي (٧/ ٦١) وأحمد في «المسند» (٣/ ١٢٨ و١٩٩ و٢٨٥) والحاكم (٢/ ١٦٢) والبيهقي (٧/ ٧٨) من حديث أنس رضي اللهُ عَنه بإسناد جيد.

في منزله وحده ، إذ لو تكفَّل بجميع أعمال المنزل لضاع أكثر أوقاته، ولم يتفرغ للعلم والعمل، فالمرأة الصَّالحة المصلحة للمنزل، عون على الدِّين بهذه الطَّريقة، واختلال هذه الأسباب شواغل ، ومشوِّشات للقلب ، ومنغِّصات للعيش، ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: الزَّوجة الصَّالحة ليست من الدُّنيا فإنَّها تفرِّغك للآخرة. وإنَّما تفريغها بتدبير المنزل ، وبقضاء الشَّهوة جميعاً.

قال محمد بن كعب القرظي. في معنىٰ قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ [البقرة: ٢٠١] قال: المرأة الصَّالحة.

وقال عليه الصلاة والسلام: (ليتَّخذ أحدكم قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وزوجةً مؤمنة ، صالحة ، تعينهُ على آخرته)[١].

فانظر كيف جمع بينها وبين الذِّكر والشُّكر. وفي بعض التَّفاسير في قوله تعالى: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧] ، قال: الزوجة الصالحة. وكان عمر بن الخطَّاب رضي اللهُ عَنْهُ

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٩٣) في التفسير: باب من سورة براءة وابن ماجه رقم (١٨٥٦) في النكاح: باب أفضل النساء ، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٨ و٢٨٢) وقال الترمذي: في الفسير المرفوع منه دون قول عمر وقال: حسن.

يقول: ما أعطي العبد بعد الإيمان بالله خيراً من امرأةٍ صالحة، وإنَّ منهن غُنماً لا يحذىٰ منه، ومنهن غلاً لا يفدىٰ منه. وقوله: لا يحذىٰ، أي يعتاض عنه.

فهذه أيضاً من الفوائد التي يقصدها الصَّالحون إلا أنَّها تخصُّ بعض الأشخاص، الذين لا كافل لهم، ولا مدبِّر، ولا تدعو إلى امرأتين، بل الجمع ربما ينغِّص المعيشة، ويضطرب به أمور المنزل. ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها، وما يحصل من القوَّة بسبب تداخل العشائر، فإن ذلك مما يحتاج إليه في دفع الشُّرور، وطلب السَّلامة، ولذلك قيل: ذلَّ من لا ناصر له، ومن وجد من يدفع عنه الشُّرور سلم حاله، وفرغ قلبه للعبادة، فإن الذُّلَّ مشوِّش للقلب، والعزُّ بالكثرة دافعٌ للذُّلِّ.

الفائدة الخامسة:

مجاهدة النَّفس، ورياضتها.. بالرِّعاية، والولاية، والقيام بحقوق الأهل، والصَّبر على أخلاقهن، واحتمال الأذىٰ منهن، والسَّعي في إصلاحهن. بتربيته لأولاده: فكل هذه الأعمال عظيمة الفضل، فإنَّها رعاية وولاية، والأهل والولد رعيَّة، وفضل الرعاية عظيم، وإنَّما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقِّها، وإلا فقد قال عليه

الصلاة والسلام: (يومٌ من والٍ عادل أفضل من عبادة سبعين سنة)[1] ، ثم قال: (ألا كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته)[2] ، وليس من اشتغل بإصلاح نفسهِ وغيره كمن اشتغل بإصلاح نفسه فقط ، ولا من صبر على الأذىٰ كمن رفَّه نفسه وأراحها ، فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ، ولذلكَ قال بِشْر: فَضُل علي أحمد بن حنبل بثلاث: أحدها: إنهُ يطلب الحلال لنفسهِ ولغيره. وقد قال رسول الله ﷺ: (ما أنفقه الرجل على أهله فهو صدقة ، وإنَّ الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها إلى فيِّ امرأته)[3])[4].

❑ ❑ ❑

---

(١) قال الحافظ العراقي: رواه الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس ، وقال الزبيدي: وكذلكَ رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» بلفظ: ستين.

(٢) رواه البخاري رقم (٢٥٥٤) في الجمعة: باب الجمعة في القرىٰ والمدن ، ومسلم رقم (١٨٧٩) في الإمارة: باب فضيلة الإمام العادل.

(٣) رواه البخاري رقم (٥٦) في الإيمان: باب ما جاء أن الأعمال بالنية ومسلم رقم (١٦٢٨) في الوصية: باب الوصية بالثلث من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللهُ عنه الطويل.

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٤٠ وما بعدها بتصرف).

خاتمة في بعض مضارّ العُزوبة

العُزوبة: ترك الزَّواج. والرَّجل عَزب، والمرأة عَزبة، وعَزب.

والعُزوبة في الجملة مناهضة لموقف الشَّرع، من حيث ترغيبه في الزَّواج، وحثه عليه.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن التَّبتُّل، وردَّ على أصحابه الذين تعاهدوا على ترك الزَّواج، وعدَّ ذلك مخالفة لسنته.

وقال: «من رغب عن سنَّتي فليس منِّي».

والأمر في هذا واضح، فإنَّ العزوبة تُنَافي كلَّ المبرِّرات التي ذكرناها، للزَّواج، ورأينا أنَّها تجعل منه ضرورة دينيَّة واجتماعيَّة. ونضيف إلى ذلك بعض الأخطار التي تترتب على انتشار العزوبة بين الشَّباب والشَّابات، والميل إليها، وتفضيلها على الزَّواج لأي سبب، أو تحت أي شِعار.

أولاً: الكبت:

إنَّ العُزوبة بين الرِّجال والنِّساء تعني الكبت لكلِّ العواطف الكامنة في فطرة هذا الإنسان؛ من حبِّ الولد وقضاء الوَطَر. وبثٌّ روح التَّعاون والتَّراحم والطمأنينة والأنس بين العباد.

وإذا كان في مقدور بعض النَّاس أن يعيش عزباً، وينجو في نفس الوقت من الكبت، ويسلم من دوافعه وعواقبه، ويجد لعواطفه مسارب تظلُّ في أنفاقها سويّة سليمة، فإنَّه ليس بمقدور كل النَّاس أن يفعل ذلك، حتى ولا ذلك البعض يقوى أنْ يعيش دهره كله بعيداً عن الشُّعور بالحاجة إلى الزَّواج، لا تثور عليه عواطفه، ولا تصارعه غرائزه في ساعة خلوة أو جلوة، في ساعة من ساعات ليلة مقمرة، أو ضحوة مشرقة.

ثم إنَّه مهما كان لا يستطيع أن يسدَّ على الشَّيطان مسالكه إلى قلبه، ويمنعه من التَّسلل إلى نفسه، ليثير في ضميره الهموم، ويغمزه بأشواك الوحشة المؤلمة، والوحدة المزعجة.

وكيف يستطيع أن يحذر وساوس الشَّيطان وهو ـ كما قال النَّبي ﷺ ـ: «يجري من ابن آدم مجرى الدَّم». [رواه مسلم].

إنَّ الكبت داء يحطِّم النَّفس، ويوزِّع القلب، ويذهب بالرَّاحة، والشُّعور بالطمأنينة، ويدعو إلى القلق، وتجمُّع

الهموم ، والغموم ، ويخرج الإنسان بذلك عن استوائه ، واعتداله ، واتِّزانه ، وسلامة تصرُّفاته ، وصِلاته بالحياة والأحياء.

ثانياً ـ الحرمان:

إنَّ العزوبة تعني الحرمان من أبسط متطلَّبات الفِطرة ، وأكثرها إلحاحاً وتأثيراً.

إنَّ العُزوبة تعني الحرمان من الولد ، الذي يجد الإنسان فيه امتداد العمر وبهجة الحياة.

إنَّها تعني الحرمان من الظهير ، والنصير ، والمعين في أخصِّ الخصوصيَّات ، وفي أحلك السَّاعات.

أين يجد العَزب المرأة الرؤوم ، والزَّوجة الحنون؛ التي تمسح عن جبينه غبار التَّعب ، وتفرِّج عن قلبه غوائل النَّصب ، وتنفِّس عن ضميره كروب الهموم ، وتشدُّ أزره كلَّما غزاه بريق ضعف ، أو لمع في حياته سراب فشل. أو ناء بحمل واجب ، أو ثقل عليه أداء حقٍّ.

إنَّ الزَّوجة العاقلة هي مفتاح الآمال ، ومولِّد الهِمم ، وباعث الأشواق إلى الجهاد والعمل ، والزَّهرة الفوَّاحة بالشَّذى ، والوردة الموحية بالأحلام السَّعيدة ، والرؤى الصادقة.

فأين العَزب من كلٍّ هذا ، إنَّه إذا خلا شعر بالوحشة ، ولم ير إلا جدران المنزل المملة والمؤرِّقة ، ولم ينفتح له إلا سراديب الأفكار المتضاربة ، ومشاعر الأحلام المختلطة .

حقاً ، إنَّ العُزوبة حرمان بكل ما تعنيه هذه الكلمة ، وتدلُّ عليه .

ثالثاً ـ القلق والأرق :

إنَّ العُزوبة على الأمد الطَّويل تولِّد في عالم النَّفس الشُّعور بالوحشة ، وتثير كل كوامن الأرق والقلق ، ولا سيما في عالم النِّساء ، وخصوصاً إذا كبرن ، وامتدت بهنَّ السِّن ، وتسرَّبت إليهن الهواجس والوساوس ، وغزا نفوسهن الشَّيطان بالمخاوف من فقدان النَّصير والمعيل والأنيس .

وإن كنت في ريب من هذا فاسأل العوانس ، والأيامَى إذا خلون في الحِجر ، وأغلقن عليهنَّ نوافذ البيوت ، وانفرد بهنَّ الشَّيطان ، سَلهن ماذا يجدن ، وكيف يعشن ، وسَل الشباب الذين يتقلَّبون على الفُرش ، ويخبطون بالأيدي والرؤوس على الوسائد ، فلا النَّوم يأتيهم ، ولا الأفكار والوساوس تتركهم ، ولا الشَّيطان يعتزلهم .

استمرار هذا الحال على هذا المنوال؛ مؤذن بالخبال

والإضمحلال ، ولا دواء له ، ولا شفاء إلا بالزَّواج المشروع.
﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

رابعاً ـ الفساد:

إنَّ العُزوبة بين الرِّجال والنِّساء تفتح أبواب الفساد على مصاريعها ، بل تخلع تلك الأبواب من أصولها ، لينتشر الشَّر من غير حارس ، ولا بوَّاب.

إنَّ العزوبة ـ على الأعمِّ من أحوالها ـ تقود في نهاية المطاف إلى التَّحلل من قيود الفضيلة ، وضوابط السُّلوك المستقيم ، لينطلق السَّعار الجنسي المحموم ، ذلك السَّعار الذي لا يقرُّ معه قلب ، ولا يسكن مع عَصَب ، ولا يسلم منه عرض ولا شَرَف.

إنَّ العزوبة التي تعيش في أوحال الإباحية ، وعلى شُطآن السُّفور والتَّبرج ، وفي رحاب عارضات الأزياء ، وعلى سواحل البحار حيث السَّابحات الفتانات ، أو في مواخير الطَّرب والغناء ، والرَّقص والخلاعة.

إنَّ هذه العزوبة؛ لسوف تكسر كل طَوقٍ للفضيلة ، وتهدم كل حصنٍ للأدب ، وتزيل كل شعورٍ بالخجل ، أو إحساسٍ بالمسؤولية.

إنَّ العزوبة في مراتع الصُّور العارية أو شبه العارية؛ في

الصُّحف والمجلات والأفلام ، تلك الصُّور التي تنطق بكل إغراء وإثارة ، وترقص بكل شهوة وأنوثة ، إنَّ العزوبة في هذه الأجواء؛ لسوف تنخلع من كلِّ ضوابط الإنسانيَّة ، لتعبِّر عن نفسها بأبشع صور الحيوانيَّة .

إنَّ العُزوبة في ظلال عرض الشَّباب لعضلاتهم ، في الشوارع والمجامع ، وعرض الشَّابَّات لكلِّ مفاتنهن ، في كلِّ مكانٍ ، ليُطلِق السَّعار الجنسي المحموم من كلِّ قيد ، ويتركه طليقاً في كلِّ أرض ، وهيهات أنْ يسلم منه بحر أو برٌّ ، سماءٌ أو أرضٌ .

إنَّ المجتمعات التي انتشرت فيها العزوبة ، وقلَّ فيها الرادِع ، وظهر فيها الزِّنى ؛ لتُنادي بالويل والثُّبور ، وتستغيث بالإنس والجان ؛ من هذا السَّعار المحموم ، والشَّر المستطير ، والفساد المنتشر .

إنَّ عالمنا الإسلامي لا يزال والحمد لله أقلَّ المجتمعات ترويجاً للرَّذيلة ، وتهديماً للزَّواج ، وترغيباً في العزوبة ، ومع هذا ؛ فالأمر جدٌّ مَخوف من عدوى التَّقليد ، وحبِّ المحاكاة .

والعالم اليوم قد انكسرت فيه الحواجز ، وظهرت فيه الخفايا ، واقترب فيه الشَّر من الخير ، والرِّجس من الطُّهر ،

والحرام من الحلال ، وغدت المعاول قريبةً من كلِّ حصن ، والمتفجِّرات تَطول كلَّ بيت .

ففروا إلى الله أيُّها المؤمنون ، لتسلموا من كلِّ شرٍّ ، وتنجوا من كلِّ فسادٍ ، وتحصِّنوا أنفسكم وأسُركم من كلِّ رذيلة .

أيها الغيورون على الأمَّة ، الحريصون عليها ، هلمَّ بها إلى حصن الإسلام ، وواحة الشَّريعة ، وسلام الدِّين وأمنه ، فإنَّه لا ملجأ من الله إلا إليه .

إن لسانَ حال الذين يصدُّون عن سبيل الله ، ويحولون دون تطبيق شرعه ، ويعرقلون أسباب الزَّواج ، ويزهِّدون فيه ، وينفِّرون منه ، ويضعون العقبات في طريقه يقول: هلمَّ إلى الفواحش ، وتعالوا إلى السِّفاح .

والله تعالىٰ يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩] صدق الله العظيم .

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربِّ العالمين
وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وآله وأصحابه وسلَّم

الفهرس